

ندوات تلفزيونية - قناة سوريا الفضائية - الايمان هو الخلق - الدرس (٠٨-٩٥) - الأمانة -
أصول التصورات الإسلامية التي تضبط الإنسان
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٥-١١-١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وترحيب :

أيها السادة المشاهدون ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وأهلاً ومرحباً بكم في هذه الحلقة الجديدة من برنامجكم الإيمان هو الخلق .

بالطبع ضيفنا وأستاذنا في هذه الحلقات لهذا البرنامج الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كلية الشريعة وأصول الدين بدمشق ، أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم .

الدكتور راتب :

أستاذ علاء ، جزاك الله خيراً .

الأستاذ علاء :

أستاذنا الدكتور راتب ، مرّ معنا من خلال حلقات البرنامج في تعدادها أن الخلق ينقسم إلى قسمين، أو يعرف من خلال ما تبيننا بالبحث معكم بأنه انضباط ثم عطاء ، إذاً الأخلاق هي كوابح لجماح النفس الإنسانية ، لتصرفات الإنسان المنزلة أو المتهورة ، أو التي تكون في غير اتزان ، و غير موزونة ، بعد هذا الضبط والكبح والمنع بكل معنى الكلمة يأتي العطاء ، لذلك هو باعث للعطاء ، و باعث للهمة ، و باعث لكل نهضة ، ولكل خير ، فيستحيل هذا الإنسان في مجتمعه من إنسان غير فعال ، من إنسان فوضوي ، من إنسان أناني ، من إنسان يحمل خلقاً أو خلالاً لا تحبها الناس إلى إنسان عندما يتحلى بالخلق إنسان منضبط ، ثم إنسان يسارع إلى العطاء ، هذا تبينه من الحلقات السابقة .

الآن في حلقة اليوم لابد أن نقف عند مسألة ، يقول الله تبارك و تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

[سورة الأحزاب : ٧٢]

هنا من خلال هذه الآية الكريمة نتبين أن الأمانة لها حمل ثقيل ، من هو في الكون أقدر على التحمل رفض أن يحملها ، فتحملها الإنسان ، ما هي الأمانة ؟ ولماذا تصدى لهذه المهمة ؟ وبالتالي كيف تصدى لهذه المهمة اتساقاً مع مسائل التكليف ، ومقومات التكليف ؟

الدكتور راتب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، أستاذ علاء ، ما من حركة يتحركها الإنسان إلا ويسبقها تصور ، ولو أن سلوك الإنسان لا يتعلق بتصوراته ، بل لا يتعلق بعقيدته لهان الأمر كثيراً ، ولكن ما من خطأ في التصور إلا وينعكس خطأ في السلوك ، وما من خطأ في السلوك إلا وسببه خطأ في التصور ، ومادام البرنامج يتحدث عن الخلق ، والخلق كما تفضلتم انضباط وعطاء ، أي حركة ، حركة سلبية ، وحركة إيجابية ، إذا وراءها تصور ، فنحن إذا أردنا أن نصحح الأخلاق ينبغي أن نبدأ من التصور ، تماماً كما لو عالج طبيب طفلاً ارتفعت حرارته ، الطبيب الناجح لا يعطيه خافض حرارة ، يبحث عن أصل الداء ، الأصل هناك التهاب ، يعالج الالتهاب ، فتنخفض الحرارة ، ونحن إذا أردنا أن نعالج الأخلاق بمعزل عن التصور لا نفلح ، إذا أردنا أن نعالج الأخلاق بمعزل عن العقيدة ، عن التصور لا نفلح ، حتى الذي أقدم على انحراف خطير يتصور أن هذا شيء ممتع ، وأنه شيء يحقق سعادته في الدنيا ، حتى الذي بذل جهداً كبيراً في خدمة المجتمع هو يتصور أن الله يرضى عنه ، وإذا رضي الله عنه ملك الأبد وسعادة الآخرة.

إذاً : ما من حركة مهما بدت صغيرة إلا وراءها تصور ، فإن صحّ التصور صحّ السلوك ، ذلك لأن كل إنسان فطر على حب وجوده ، و على حب سلامة وجوده ، و على حب كمال وجوده ، و على حب استمرار وجوده ، يشقى من خطئه في التصور ، الله عز وجل يقول عن أهل النار :



﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك : ١٠]

إذاً : هي أزمة تصور ، أزمة فهم خاطئ ، أزمة فهم منحرف ، فما من إنسان إلا ويسعى لسلامته و سعادته ، لكن الخطأ في التصور يقود إلى خطأ في السلوك ، ثم يدمر الإنسان في الدنيا والآخرة .

الأستاذ علاء :

دكتور راتب ، هذا يدفعني إلى تصور آخر ، عندما يفشل الإنسان في عمل ما ، في مشروع ما ، في قضية ما ، في دراسة ، في شأن من شؤون الحياة ، هذا مرده إلى أنه خطط لهذا المشروع بشكل غير سليم ، و الدراسة كانت غير سليمة ، والتصور لهذا المشروع على أرض الواقع كان غير سليم ، فبالتالي جاءت النتائج غير سليمة ، لأن التخطيط و التصور كان غير سليم ، بالتالي إذاً هذه المسائل كانت عن تصور غير سليم ومشوش ، لذلك أدت إلى نتائج سلبية :

﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك : ١٠]

إذاً : لو كان لدينا التصور الصحيح ، والفهم الصحيح للحياة ، وما بعد الحياة ما كنا في أصحاب السعير .

التخطيط الخاطئ يُفضي إلى نتائج غير سليمة :

الدكتور راتب :

هذا الطالب الذي يتصور مستقبلاً باهراً ، أي مكانة ودخلاً و زوجة وأولادا ، يراها في الدراسة ، فيحمل نفسه على دراسة شاقة ، و يبتعد عن كل الملهيات ، لأنه يتصور مستقبله ، وهذا الذي يعيش لحظته ، و عطل تصور المستقبل يتمتع نفسه بمتع رخيصة ، فإذا تقدمت به السن شعر بالخسارة الفادحة .

إذاً : أنا أصر ، ونحن في برنامج " الإيمان هو الخلق " على أن أصل التصرف و الحركة و العطاء و الانضباط تصور صحيح ، لذلك إن شاء الله سنمضي حلقات متتابعة حول أصول التصورات الإسلامية التي تضبط الإنسان أولاً ، و تجعله يعطي ولا يأخذ .

الأستاذ علاء :

إذاً : دكتور راتب ، الآن الإنسان هذا المخلوق العاقل الذي أكرمه الله بالعقل والتفكير ، وبالتمييز ، وأكرمه بمعرفة الأشياء ، أعطاه الله الأمانة كما تفضلت ، وهي نفسه التي بين جنبيه ، بالإضافة إلى هذه الأمانة التي حمل ثقلها في أن يجعلها مثلاً في جانب الأبرار ، أو في جانب الأشرار ، لما أعطى الله عز وجل العقل للإنسان أعطاه التكليف ، وكلفه بوجود هذا العقل ، هل لنا أن نتبين مقومات ، وأسس التكليف ؟

تحمل الإنسان للأمانة :

الدكتور راتب :

كلامك صحيح ، لكن لابد من الوقوف عند الآية ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب : ٧٢]



تماماً كما لو أن أباً عنده أولاد عدة ،
عرض عليهم من يأتي بدرجة عالية من
جامعة متفوقة جداً ، وله نصف المعمل
، فإذا أبى أحد أولاده فله دخل محدود ،
وله بيت وزوجة ومركبة ، أما إذا أراد
أن يكون طموحاً فلا بد من أن يأتي
بشهادة عالية جداً ، أحد أولاده قال أنا
لها :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب : ٧٢]

تعبير يشمل الكون كله :

﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب : ٧٢]

الإنسان قال : أنا لها يا رب ، فإذا أدى الأمانة لم يكن ظلوماً ولا جهولاً ، بل كان طموحاً ومتألقاً
، وإذا خان الأمانة كان ظلوماً جهولاً .

نفس الإنسان أمانة فلا بد من تركيتها :

إذاً : الأمانة في رأي معظم العلماء هي نفسك التي بين جنبيك :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

[سورة الشمس]

تزكية النفس أن تعرفها بربها ، وأن
تعرفها بسر وجودها ، وغاية وجودها
، من أين ، و إلى أين ، و لماذا ؟
تزكية النفس أن تعرفها بمنهج ربها ،
تزكية النفس أن تحملها على طاعته ،
تزكية النفس أن تجعلها تتقرب إلى الله
بالأعمال الصالحة ، فتزكية النفس ثمن
الجنة ، ثمن سعادة عرضها السماوات
و الأرض ، ثمن جنة عرضها



تزكية النفس أن تعرفها بمنهج ربها

السماوات والأرض ، فيها ما لا عين رأت ، و لا أذن سمعت ، و لا خطر على قلب بشر ، هذا
كلام خالق لأكوان ، و مع الأسف الشديد معظم الناس لا يدخلون في حساباتهم الدار الآخرة ، ولا
يدخلون في حساباتهم الجنة ، ذلك أن الإنسان يعيش فيما حوله ، و لا يفكر في المستقبل البعيد ،
والإنسان كلما ازداد عقله ازداد بُعد نظره ، تماماً كما لو أن إنساناً يركب مركبة ليسافر بها إلى
حمص ، فإذا بلوحة كتب عليها : الطريق إلى حمص مغلقة بسبب تراكم الثلوج في مدينة النبك ،
يرجع ، قرأ اللوحة ، و فهم الواقع ، و اتخذ موقفاً من خلال هذه اللوحة ، لو أن دابة تمشي لم
تقف إلا عند الثلج



من يعيش للحظته هو إنسان عطل عقله

الذي يحكمه النص والمستقبل البعيد
كان إنساناً راقياً ، والذي يحكمه الواقع ،
وتحكمه الشهوات ، وتحكمه المصالح ،
ويعيش للحظته هو إنسان عطل عقله ،
ودفع الثمن باهظاً ، هبط بمستواه
الإنساني إلى مستوى لا يليق به ،
الإنسان خلق لمعرفة الله ، خلق ليسعد
بجنة عرضها السماوات و الأرض ،
خلق ليكون لله .

أستاذ علاء ، أي إنسان يكون لغير الله يحنقر نفسه :

﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾

[سورة البقرة : ١٣٠]

أنت مخلوق لله ، لكن الأشياء مخلوقة لك ، أما أنت فمخلوق لله عز وجل ، فلا يليق بإنسانيتك ، ولا بكرامتك ، ولا بكونك المخلوق الأول ، ولا بكونك حملت الأمانة ، ولا بكونك تحمل رسالة أن تكون تابعاً لأحد ، أو أن تكون خطأ من أخطاء إنسان آخر ، أنت لله ، فهذا التوحيد يسمو بالإنسان من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، يسمو بالإنسان من عبادة الأشخاص إلى عبادة خالق الكائنات ، هذا الذي يرقى بالإنسان .

الفلاح والفوز يوم القيامة :

الإنسان هو المخلوق الأول رتبة ، لذلك الآية الدقيقة :

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[سورة الرحمن]

الشيء الذي يلفت النظر أيعقل أن يعلم الإنسان القرآن قبل أن يُخلق ؟ هذا الترتيب رتبي ، وليس ترتيباً زمنياً ، فلا معنى لوجود الإنسان من دون منهج يسير عليه ، وهذا هو الخلق ، أن تصح رؤيتك فيصح سلوكك ، إذاً : الأمانة النفس ، وأقوى دليل على ذلك :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾

[سورة الشمس : ٩]

أي الفلاح كل الفلاح ، والنجاح كل النجاح ، والعقل كل العقل ، والذكاء كل الذكاء ، والتفوق كل التفوق في تركية النفس ، وتأهيلها لجنة ربها ، لأن الإنسان إذا وافته المنية ، وعرف مكانه في النار يصيح صيحة لو سمعها أهل الأرض لصعقوا :

﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾

[سورة الفجر : ٢٤]

والمؤمن حينما يرى مكانه في الجنة ومقامه عند الله :

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

[سورة القمر : ٥٥]

يقول : لم أر شراً قط ، فلذلك البطولة فيمن يضحك آخر ، كثير من يضحكون أولاً ، ويبكون كثيراً ، لكن البطولة فيمن يضحك آخر .

حينما يولد الطفل كل من حوله يضحك ، وهو يبكي وحده ، فإذا وافته المنية كل من حوله يبكي ، فإذا كان بطلاً فليضحك وحده :



﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة يس : ٢٦]

هذه الدنيا ساعة ، اجعلها طاعة ، والنفس طماعة ، عودها القناعة ، ولئلا يندم الإنسان ندماً لا يحتمل فيقول :

﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾

[سورة الفجر : ٢٤]

﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾

[سورة الفرقان : ٢٧]

هكذا يصف الله عز وجل حال الإنسان عندما يفارق الحياة الدنيا .
أستاذ علاء ، كما تفضلتم هذه الأمانة التي حملها الإنسان ما حمله إياها إلا وقد أعطاه وسائل أدائها أو مقوماتها .

مقومات التكليف :

أولاً : الكون :



أكبر شيء ثابت لا يتزعزع هو الكون ،
الكون مظهر لأسماء الله الحسنى ،
وصفاته الفضلى ، الكون ينطق بوجود
خالق عظيم ، ينطق بكمال هذا الخالق ،
ينطق بوحدانيته ، الكون ينطق بأسمائه
الحسنى وصفاته الفضلى .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

يكفي أن نعلم أن الله عز وجل حينما قال :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة]

بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية ، والضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر ، كم يقطع بالدقيقة ؟ ضرب ستين ، كم يقطع بالساعة ؟ أيضاً ضرب ستين ، كم يقطع في اليوم ؟ ضرب أربع وعشرين ، كم يقطع في السنة ؟ ضرب ثلاثمائة وخمسة وستين ، كم يقطع في أربع سنوات ؟ ضرب أربعة ، معنا رقم كبير جداً ، ويحسن حسابه أي طالب في الصف التاسع ، لو أردنا أن نصل لهذا الكوكب بمركبة أرضية ، أو لهذا النجم سرعتها مئة قسمنا هذا الرقم على مئة كم ساعة ؟ على أربع وعشرين كم يوماً ؟ على ثلاثمائة و خمسة وستين كم سنة .

هل تصدق أستاذ علاء أن أقرب نجم ملتهب إلى الأرض يحتاج كي نصل إليه بمركبة أرضية إلى خمسين مليون عام ، متى نصل إلى نجم القطب الذي يبعد عنا أربعة آلاف سنة ضوئية ؟ متى نصل إلى مجرة المرأة المسلسلة التي تبعد عنا مليوني سنة ضوئية ؟ متى نصل إلى بعض المجرات التي تبعد عنا عشرين مليار سنة ضوئية ؟ الأربع سنوات ضوئية تحتاج إلى خمسين مليون عام بالسيارة إليه بسرعة مئة ، أما هذه المجموعة من النجوم فتبعد عنا عشرين مليار سنة ضوئية :

الآن قال تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة]

أكبر عالم فيزياء في أوربا أنشأتين قال : كل إنسان لا يرى في هذا الكون قوة هي أقوى ما تكون ، عليمه هي علم ما تكون ، رحيمه هي أرحم ما تكون ، حكيمه هي أحكم ما تكون ، هو إنسان حي ، و لكنه ميت ، فالإنسان يحيا قلبه بمعرفة الله ، ويموت بالبعد عنه .

إذاً : هذا الكون أكبر شيء ثابت يدعم الإيمان ، هذا الكون وراءه إله عظيم ، صفاته عليا ، و أسماؤه حسنى ، رحمة ، و علم ، و قدرة ، و حكمة ، و إنصاف ، و عدالة ، فلذلك إذا بدأ الإنسان بمعرفة الله من خلال خلقه ، ثم ثنى بمعرفة الله من خلال كلامه ، ثم ثلث بمعرفة الله من خلال أفعاله يكون قد عرف الله ، وإذا عرفت الله عرفت



كل شيء ، ابن دم ، اطلبني تجدني ، فإذا وجدته وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء ، فالكون له إن شاء الله حلقة كاملة ، نتحدث عن الكون ، و عن

السموات والأرض ، و عن الأرض بما فيها ، و عن المخلوقات ، و عن الحيوانات ، و عن الأطيوار ، والأسماك ، و عن نواظمها ، و عن ضوابطها ، لكن أكبر شيء يدل على الله هو الكون ، والكون قاسم مشترك بين كل الناس ، بين كل الملل والنحل ، الكون قرآن صامت ، والقرآن كون ناطق ، والنبى عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي ، الكون أحد أكبر مقومات التكليف، والكون لغة عالمية ، ينطق بوجود خالق عظيم ، ينطق بوجود خالق حكيم .



في العين مادة مانعة للتجمد في الجو البارد

هذه العين ، لو سافر أهدنا إلى بلاد في الشمال ، الحرارة سبعون تحت الصفر، فيها ماء العين ، أنت تغطي رأسك وجسمك ، لكن لن تستطيع أن تغطي عينيك كي تمشي في الطريق ، فماء العين يلامس سبعين تحت الصفر، إذاً : ينبغي أن يتجمد فوراً ، وأن يفقد الإنسان بصره ، من أودع في ماء العين مادة مضادة للتجمد ؟

الحقيقة الخوض في الكون أقصر طريق لمعرفة الله ، وأوسع باب ندخل منه إلى الله :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران]

الأستاذ علاء :

إذاً : سيدي ، كما تبين بأن التكليف يقتضي العقل والفهم والتفكير لأولي الألباب ، هذا التكليف أهم مقوم من مقوماته أن ينظر الإنسان إلى هذا الكون .

التفكير في المخلوقات كلها :

الدكتور راتب :

إلى طعامه ، إلى شرابه ، إلى أولاده .

الأستاذ علاء :

إلى السماء ، إلى الأرض ، إلى الماء ، إلى هذا الإعجاز الكبير الذي يدل إلى الرسالة التي تنبئ

عن مرسلها :

الدكتور راتب :

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾

[سورة الطارق : ٥]

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾

[سورة عبس : ٢٤]

﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة يونس : ١٠١]

وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب .

هذا الكون .

الأستاذ علاء :

هذا بالنسبة للكون ، وهذا سنفرد له حلقة كما تفضلت إن شاء الله من حلقات هذا البرنامج ، نأتي

إلى العقل .

ثانيا : العقل :

الدكتور راتب :

أما العقل فهو القوة الإدراكية التي أكرم الله بها الإنسان ، و ميزه على بقية المخلوقات ، و ما لم يبحث الإنسان عن الحقيقة فقد هبط عن مستواه الإنساني .



في الإنسان حاجات سفلى هي محققة الآن في أعلى درجة ، وفي أكمل درجة ، لكن حاجته العليا ليست محققة

، يعيش للدنيا ، يعيش لشهوته ، يعيش لمصالحه ، و لا يعيش لحقيقة آمن بها ، و لا لفكرة اعتقدها ، و لا لهدف نبيل يسعى إليه .

١ – العقل لا يفهم شيئاً بلا سبب :

إذاً : العقل أداة معرفة الله ، ولكن عظمة الله عز وجل اقتضت أن تكون مبادئ العقل موافقة لقوانين الكون ، فعقلك لا يفهم شيئاً بلا سبب ، لو رأيت شيئاً قد فتح ، وأنت قد أغلقته لا تصدق إلا أن إنساناً دخل إلى البيت في غيبتك ، وفتح الباب .
العقل لا يفهم شيئاً بلا سبب ، كما أنه لا يفهم شيئاً بلا غاية ، إن اقتنيت جهازاً ، ورأيت فيه حاجة ، قلت : لماذا هذه القطعة ؟ ماذا أفعل بها ؟ لماذا صنعت هكذا ؟ لماذا وضعت هكذا ؟ هذا سؤال أبدي .

٢ – العقل لا يقبل التناقض :

والإنسان لا يفهم شيئاً مع التناقض ، إنسان في الشام ، وفي مكة في آن واحد ، لا يقبل العقل ذلك.
الأستاذ علاء :
القيام والعقود في آن واحد هذا شيء مستحيل .
الدكتور راتب :

٣ – مبدأ الغاية :

إذاً : العقل مبادئه مبدأ السببية والغائية وعدم التناقض ، وهذه المبادئ متوافقة مع قوانين الكون ، وهدفها أن تصل إلى الله بلطف ، هذه البيضة من الدجاجة ، أم الدجاجة من البيضة ؟ إذاً : من خلق الدجاجة الأولى ؟ نقلك الله بلطف إلى مسبب الأسباب ، لو أن الله خلق الكون بلا أسباب كذلك لا تعتقد أن لهذا الكون إلهاً هو أعطاك عقلاً لا يفهم شيئاً بلا سبب ، والله مسبب الأسباب ، هذا المقوم الثاني .



لعل هناك مقوماً ثالثاً هو الفطرة ، قال تعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾

[سورة الشمس : ٧]

الآن الآلات الحديثة ، المركبات الحديثة ، الطائرات الحديثة ، إذا وُجد خللٌ يظهر على الشاشة ، هي تبيئك بالخلل دون أن تبحث عنه ، الفطرة هي :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾

[سورة الشمس : ٧]

ألهمها حينما تفجر أنها فجرت ، وألهمها حينما تنقي أنها اتقت ، فراحة الإنسان في صلحه مع فطرته ، وشقاؤه في خصامه معها ، وما مرض الكآبة الذي هو المرض الأول في لعالم إلا لأن الإنسان خرج عن مبادئ فطرته ، لأن الفطرة متطابقة تماماً مئة بالمئة مع منهج الله في الأرض ، وسواء أعصى الإنسان ربه أم خالف فطرته يشعر بالكآبة ، وسواء أطعت الله أم طبقت مبادئ الفطرة تشعر براحة ، فالفطرة لها أيضاً حلقة مستقلة إن شاء الله .

الأستاذ علاء :

الفطرة هي غير الجبلة .

بين الفطرة والجبلة :

الدكتور راتب :

هي نفسها هي أسماء لمسمى واحد ، جبلة ، فطرة .

الأستاذ علاء :

وهذه التي تكون لوحة الإنسان صافية فيها ، وميزانها صحيحاً ، ودقيقة جداً ، هي التي تشعره بأنه أخطأ أو أصاب .

إقامة الدين حنيفاً من الفطرة :

الدكتور راتب :

﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾

[سورة الروم : ٣٠]

أن تقيم وجهك للدين حنيفاً هو نفسه فطرة الله التي فطر الناس عليها ، الله أمرك أن تكون صادقاً ، وأنت في أصل تكوينك ، وفي أصل جبلتك تحب الصدق .

الأستاذ علاء :

نأتي إلى المقوم الرابع الشهوة .

رابعا : الشهوة :

الدكتور راتب :

الشهوة كالمحرك في المركبة ، فلا حركة بلا شهوة ، ولولا أن الله أودع فينا حب الطعام والشراب ، وأودع فينا حب الطرف الآخر للزواج ، وأودع فينا رغبة تأكيد الذات ، لما وجدت على وجه الأرض شيئاً ، فمن دون محرك السيارة ليست سيارة ، بل هي وقافة ، قطعة معادن فقط ، أما المحرك



فهو الذي يحركك ، لذلك كتشبيه مريح : المحرك هو الشهوة ، والعقل هو المقود ، والشرع هو الطريق ، فمهمة العقل أن ينطلق بالمحرك ، وأن يبقي المركبة على الطريق ، وألا ينحاز عنه ، وللشهوة إن شاء الله أيضاً حلقة مستقلة .

الأستاذ علاء :

أنا لا أدري إذا كنا نستطيع أن نأخذ المقوم الأخير إذا سمحت .

خامساً : الاختيار :

الدكتور راتب :

حينما يكون الإنسان مخيراً يثمن عمله ، لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب ، لو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب ، إذاً العمل لا يثمن إلا بالاختيار ، لكن العقل قد يضل :

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾

[سورة المدثر]

الشرع مقياس الفطرة والعقل :



الشرع هو المقياس لصواب العقل وصواب الفطرة

والشهوة والفطرة قد تنطمس ، فما المقياس الذي نقيس به صواب العقل وصواب الفطرة ؟ الشرع ، فالحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه الشرع ، وكل هذه الحركة تحتاج إلى وعاء هو الوقت ، و للوقت حلقة مستقلة .

نحن أمام سبع مقومات للتكليف :

الكون ، العقل ، الفطرة ، الشهوة ، الاختيار ، الشرع ، الوقت ، هذه بالمستقبل القريب إن شاء الله .

الأستاذ علاء :

خاتمة وتوديع :

سيكون لنا في كل حلقة عنوان من هذه العناوين نخط في ظلالها ، أعزائي المشاهدون لا يسعني إلا أن نشكر الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كلية الشريعة وأصول الدين في جامعة دمشق ، شكراً لكل هذا الشرح ، ولبسط هذه المعلومات وتفصيلها ، وإن شاء نلتقي في الأسبوع القادم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين